فبعد اشهر لمّا هدأت الامور وانتهى عمّال الدولة من قتل الارمن ألبسني معلّمي لباساً لائقاً واخذني الى مخزنه وادّعى انّي اصغر اخوته ودعاني كامل توتل. فاحسّ بي الشُرط وارادوا القبض عليّ لكن المسيو توتل كان يدافع عني ويكسبهم ببعض الدراهم وهكذا نجوت من يدهم

صرفتُ سنتين في خدمة هذا رجل الخير حتى دخل الانكليز في تشرين ١٩١٨ دير الزور فسلّمني بضائع من ماله لأبيها في بغداد ففعلتُ ثمّ عدتُ راجعاً اليه. ولمّا بلغني دخول الانكليز الى حلب طلبت من المسيو توتل ان يسمح لي بالسفر فرضي بذلك واعطاني كل ما احتاج لسفري

فلمّا وصلتُ الى الشهبا. واجهتُ كاهناً ارمنيّاً فافادني عن رجوع الآباء اليسوعيين الى آطنه ومن جملتهم الاب غرنسو فكتبتُ لهُ حالاً كتاباً أعلمهُ بأمري. وبعد ثلاثة ايام قبل ورود جوابهِ سافرت الى آطنه فنالني من الفرح لمشاهدتي الآباء ما لا يصفهُ لسان وقبلني الاب الرئيس في جملة تلامذة المدرسة فقضيتُ هناك سنةً بتمّ. ثمّ كتبت لحضرة الاب لويس وبيّنت لهُ امر دعوتي للكهنوت وبواسطتهِ تيسّر لي الدخول في مدرسة بيروت الاكليريكيّة في السنة ١٩١٩ فوصلتُ اليها في ١٠ تشرين الاوّل وفي اليوم عينهِ لبست ثوب الاكليريكيين ولم ازل منذ ذاك الى الآن اقدّم آيات الشكر لله على نعمهِ اليّ طالباً من مراحمهِ ان يوّهلني لبلوغ سرّ الكهنوت

النصرانيّة وآدابها
بين
عرب الجاهليّة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

العلوم والصنائع بين نصارى العرب (تابع)

وها نحن ننقل هنا صور ثلثة نقود عربيّة ترتقي الى اوائل الاسلام وعليها صور ملوك الروم ورموزهم المسيحيّة

A دينار عربيّ على وجهه صورة هرقل ملك الروم وفي يمناهُ الصليب وفي يسراهُ كرة يعلوها صليب صغير . مع اسم طبريّة باليونانيّة . وعلى ظهر الدينار سنة النقود M مع اسم خالد (بن الوليد) باليونانيّة

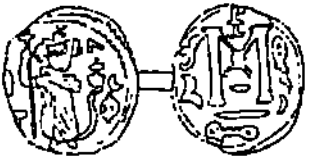

B فلس عربيّ على وجهه صورة هرقل الموصوفة . وعلى ظهره مع سنة النقود هذه الالفاظ العربيّة : صدر . دمشق . جائز

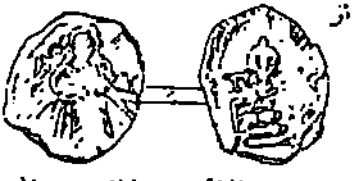

C فلس عربي على وجهه صورة الخليفة «عبد الملك امير المؤمنين» وعلى ظهره صورة الصليب المرتكز على سارية مع اسم سيرين حيث ضُرب . وهذا الفلس ممسوح اكثرهُ واغلبُ وُجدت منهُ نقود اخرى اجلى صورة مع كتابته العربيّة

وهذه النقود في متحف باريس

وقد ضرب امراء المسلمين في افريقية والاندلس بعد فتحها نقودًا عليها ايضاً شارات النصرانيّة كالصليب واسم السيّد المسيح باللاتينيّة مع اسماء الامراء المسلمين

وقد سبق لنا القول انّ السلجوقيين في بلاد الروم والارتقيين في ما بين النهرين ضربوا ايضاً نقودًا عليها صور ملوك النصارى مع علامات النصرانيّة بينها صورة السيّد المسيح والبتول مريم والدتهِ الطاهرة

﴿ التعليم ﴾ ومن الصنائع الشريفة التي دخلت بين العرب بفضل النصرانيّة صناعة التعليم . وكان شيوع المدارس اوّلًا بين الامم المجاورة العرب كالكلدان والسريان في العراق وما بين النهرين وكالروم في جهات الشام وفلسطين فلمّا تنصّر العرب اخذ احداثهم يتردّدون على المعلّمين المنصوبين للتعليم في الجهات المجاورة لمساكن قبائلهم في مدارس كانوا يدعونها بالاسكولات وهي كلمة دخيلة استعارها السريان من اليونانيّة (σχολή) اشتهر منها مدارس الرها ونصيبين والمدائن والحيرة

ودمشق. ومع انّ التعليم في هذه المدارس كان في السريانيّة او اليونانيّة لم يعدم العرب فيها وسائل لدرس لغتهم

ومما يؤيّد الامر اخبار بعض شعراء العرب . فمن ذلك ما ورد في كتاب الاغاني (٥ : ١٩١) عن المرقّش الاكبر حيث قال: «وكان مرقّش يكتب وكان ابوهُ دفعهُ واخاهُ حرملة وكانا احبَّ ولدهِ اليهِ الى نصراني من اهل الحيرة فعلّمهما الخطّ». ورُوي عن عديّ بن زيد (الاغاني ٢ : ٢٠) انّ اباهُ زيد طرحهُ في الكتّاب مُذ نشأ ثمّ ارسلهُ مع شاهان مُرْد الى كتّاب الفارسيّة حيث «تعلّم الكتابة والكلام بالفارسيّة حتّى خرج من افهم الناس بها وافصحهم بالعربيّة» الى ان صار كاتباً للملك النعمان. وجاء ايضاً في اخبار طرفة والمتلمّس (الاغاني ٢١ : ١٩٣ — ١٩٥) انّ المتلمّس لمّا اراد ان يطّلع على ما كتبهُ في حقّها عمرو بن هند الى المُكعبر عاملهِ في البحرين عدل الى غلام عباديّ من غلمان الحيرة فاعطاهُ الصحيفة ليقرأها لهُ ففعل ووقف على مضمونها اذ اوصى بقتلها فألقى المتلمّس الصحيفة في النهر وفرّ سالماً بنفسهِ وقُتل طرفة . فيتّضح من ذلك انّ العباديين وكانوا من نصارى العرب كانوا يواظبون على المدارس . وقد ذكر في محلّ آخر (اغاني ١٨ : ٧٨) فضل معلّم نصرانيّ على سواهُ في البصرة في عهد بني اميّة وولاية الحجّاج وفي طبقات ابن سعد (٣ : ٢٥٨) انّ في عهد عمر بن الخطّاب كان جُعَيْنة النصرانيّ من اهل الحيرة يعلّم الكتاب في المدينة وذلك بعد أن امر عمر بخروج النصارى من جزيرة العرب . وفيهِ دليل على حاجة المسلمين في اوائل الاسلام الى المعلّمين. وفي قائمة المعلّمين التي سردها قدماء الكتبة كالجاحظ في البيان والتبيين (١ : ١٠١) وابن قتيبة في كتاب المعارف (ص ١٨٥) وابن رسته في الاعلاق النفيسة (ص ٢١٦) اسماء ذمّيين وموالٍ من نصارى ويهود كانوا يتعاطون مهنة التعليم

هذا فضلاً عمّن كانوا يختلفون الى الرهبان والكهنة النصارى في صوامعهم وديرتهم ليتعلّموا القراءة والكتابة. كما ذُكر عن ابي نصر البرّاق بن رَوْحان (شعراء النصرانيّة ص ١٤١) انّهُ كان يتردّد الى راهب فيتعلّم منهُ تلاوة الانجيل. وكما قال في الاغاني (٣ : ١٤) عن ورقة بن نوفل انهُ «كان يكتب بالعبرانيّة (يريد السريانيّة) من الانجيل ما شاء ان يكتب». ولعلّ الراهب الذي اشار القرشيّون اليهِ بقولهم عن محمّد (سورة النحل) «انّما يعلّمهُ بَشَرٌ» كان احد معلّمي النصارى في مكّة . كما تعلّم

اهمها الكتابة من بشر بن عبد الملك النصراني اخي اكيدر الكندي صاحب دومة الجندل (السيوطي في المزهر ١ : ٣٩٠) و كانوا يسمّون هذه الكتابة بالجزم اي الفصل سواء فصلوها عن خطّ حمير المعروف بالمُسند كما ارتأى ابو حاتم (التاج ٨: ٢٢٨) او بالحري لفصلها عن الحروف الكلدانيّة وهي اقرب اليها . وفي فضل بشر على قريش قال احد شعراء كندة منشداً :

لا تجحدوا نَعْماءَ بِشْرٍ عليكمُ فقد كان مسنون النقيبة أزهرا
أتاكم بخطِّ الجزمِ حتى حفظتمُ من المال ما قد كان شتّى مبعثرا
وأبنيتمُ ما كان بالمال مهملا وطأمنتمُ ما كان منهُ مبقّرا
فأجريتمُ الاقلامَ عوداً وبدأةً وضاهيتمُ كُتّابَ كسرى وقيصرا
وأغنيتمُ عن مُسنَدِ الحيِّ حِمْيَرا وما زبرتْ في الصُحف اقلامُ حميرا

ومِمّا نسبوهُ الى قسّ بن ساعدة اسقف نجران في كتاباته انهُ اوّل من كتب في رسائلهِ «من فلان الى فلان بن فلان» ونسبوا اليهِ فصل الخطاب بأن قال بعد حمد الله والدعاء «اما بعد» افتتاحاً للخطاب. ومثلها قولهم «باسمك اللهمّ» زعموا انّ اوّل من كتبها الشاعر النصراني اميّة بن ابي الصلت الثقفي

فكلّ هذه الشواهد تدلُّ على شيوع صناعة التعليم بين نصارى العرب واجتهادهم في تعميمها . وقد سبق لنا بين القبائل المتنصّرة (ص ١٢٤) ذكر قبيلة اياد وقد رأينا انّهم اشتهروا بمعرفة الكتابة فقال فيهم اميّة شاعرهم (سيرة بن هشام ص ٣٢) :

قومي اياد أنعم أمم لو اقاموا فهزّلَ النِّعَمُ
قومٌ لهم ساحةُ العراقِ اذا ساروا جميعاً والقطُّ والقَلَمُ

ومثلهم الحميريّون ولاسيّما نصارى نجران وانّما كانوا يكتبون الخطّ المعروف بالمُسند . قال ابن خلدون في مقدّمتهِ : «ومن حمير تعلّمت مُضَر الكتابةَ العربيّة» . والى حذاقة حمير في الكتابة يشير ابو ذؤيب بقولهِ (لسان العرب ١٨ : ٣٠٦) :

عرفتُ الديارَ كخطّ الدُوَيـ ـرِ جَبّرَهُ الكاتبُ الحِمْيَرِي

وممّن سعى في نشر التعليم من اساقفة النصارى في عهد بني اميّة قيون احد جاثليقة الكلدان قال عنهُ ابن ماري في تاريخ بطاركة كرسي المشرق من كتابهِ المجدل (ص٦٦) انهُ «نصب في كرسيهِ اسكولاً فتشبّه بهِ الاساقفة في عمارة البيع والاسكولات»

وبهِ نختم فصلنا عن العلوم والصنائع النصرانيّة بين عرب الجاهليّة واوائل الاسلام